مقدّمة

يعدّ العصر العبّاسي في تاريخ الأدب العربي العصر الذّهبي بما ازدهر في هذا العصر من قرائح أدبيّة وبما انصبّ فى مجراه من الثقافات المختلفة من الفارسية واليونانيّة والهنديّة وغيرها نتيجة اختلاط الأمم المختلفة الراقية آنذاك، وعلى اتّساع رقعة الإسلام[1] والتي تحدّها شرقاً بلادالهند وبحر فارس وغربا بلادالروم والخزر والروس والبلغار وسقلاب وشمالا مملكة الصين وما يتّصل بها من حدود التاتار وجنوبا بحر فارس.[2]

فقد سبب امتزاج العرب بالجنسيّات المختلفة والحضارات المتفاوتة على ضوء تعاليم الإسلام وتشجيعه المسلمين على التعليم والتعلم وتحصيل المعرفة واكتسابها أن أخذ العرب يلمّون بما لدى الأمم المفتوحة من ثقافات متباينة، وقد مضوا في هذا العصر يتقصّونها بكلّ موادّها إلى لغتهم ونهض التعليم حينئذ نهضة واسعة.[3]

وكان لذلك الازدهار العلمي عاملان رئيسان: الأوّل: ماسبق آنفا من اختلاط العرب بغير هم من الأمم وحملهم معهم ثقافاتهم ومعارفهم في مختلف المجالات. والثاني: ماقام به الأدباء والمثقّفون من نقل العلوم إلى العرب؛ فقد أخذت الترجمة تنشط في هذا العصر نشاطا واسعاً وترجم كثير من المصنّفات في المنطق والنجوم والهندسة والحساب والطبّ إلي العربيّة[4]: كما نقلت إليها آداب الشعوب المعتنقة الإسلام، و كان أبعدها تأثيرا في الأدب العربي الأدب الفارسي؛ فقد نقل إلى العربية من الأدب الفارسي «أمثال بزرجمهر[5]» و «عهد أردشير بن بابك إلى ابنه سأبور[6]» و كتاب «*جاويدان خرد*[7]» في صنوف الآداب ومكارم الأخلاق وغيرها.

فكانت حصِيلة اختلاط العرب بالأمم الأخرى ونقل ثقافاتهم وادابهم وعلومهم إلى العربيّة ذلك التجدّد في موضوعات الشعر، وتلك الإناقة في الكتابة في مختلف مجالاتها: من الرسائل والخطب والعهود والتوقيعات التي سوف نعرض لها بالتفصيل والشرح أثناء البحث عن كلّ من النثر والشعر.

وبعد هذا العرض الموجز لصورة الأدب في العصر العبّاسي بوجه عام أرى لزاماً عليّ أن ألفت انتباهكم على أمور ستّة:

---

[1]. نقلاً بتصرّف واختصار عن: *تاريخ الأدب العربى*، لضيف، ج ٣، ص ٨٩-٩٤.

[2]. *مسالک الممالک*، ص ٥.

[3]. *تاريخ الأدب العربى*، لضيف، ج ٣، ص ٩٨.

[4]. *المرجع نفسه*، ص ١١٠.

[5]. أورد ابن عبدربّه فى كتابه: *العقد الفريد* فصلاً خاصّاً تحت عنوان «حِكَم أكثم بن صيفى وبزرجمهر» ذكر فيه أمثالا كثيرة منهما، من دون تفرقة بين الأمثال المنقولة عن كلّ منهما (راجع: *العقد الفريد*، ج ٣، ص ١١-١٤). وله أى لبزرجمهر، أيضا كتاب *پندنامه (المواعظ)* يتضمّن أسئلة وجّهها انوشروان إليه و أجوبته عليها؛ ترجمه إلى الفارسية ابن سينا فى القرن الرابع للهجرة تحت عنوان *ظفرنامه*. راجع: *الترجمة والنقل عن الفارسيّة*، ص ٣٨. ونقل ابن مسكويه فى كتابه *جاويدان خرد*، ص ٢٩-٤٠ حكما مختارة من بزرجمهر.

[6]. و عهد اردشير هذا رسالة معروفة نقلت فى كثير من الكتب الإسلامية، وليس نقلها فى أىّ كتاب أصحّ مما ورد فى *تجارب الأمم* (راجع: *الترجمة والنقل عن الفارسية*، ص ٤٧).

[7]. من مؤلّفات ابن مسكويه؛ أبوعلى، أحمد بن محمّد. وعنوانه العربى: *الحكمة الخالدة*، حققه وقدم له عبدالرحمن بدوى، منشورات جامعة تهران، ١٣٥٨ هـ ش.

الأوّل: تحديد العصر العباسي الأوّل الذي بحث عنه في هذا الكتاب.
الثاني: بيان الباعث على تأليف هذا الأثر والهدف منه.
الثالث: بيان الأسلوب الذي اخترته في تأليفه.
الرابع: سبب اختيار بعض الكُتّاب والشعراء لدراسة نصوصهم وأشعارهم دون بعض.
الخامس: الأسلوب الذي اقترحه لتدريس هذا الكتاب.
السادس: المنابع والمراجع التي اعتمدت عليها في تأليفه.
وإليكم الآن تفصيل هذه الأمور:

أمّا الأول منها وهوتحديد العصر العباسي الأوّل، فهناک آراء مختلفة في تحديده؛ فبعض مؤرخي الأدب العربي حدّده من سنة١٣٢ه أي نهاية الحكم الأموي إلى سنة ٦٥٦ه أي نهاية الحكم العباسي واستيلاء هلاكوعلى عاصمة بغداد وجعله عصراً واحداً[٨]، وبعض قسّمه إلى قسمين: العصر العباسي الأول من سنة ١٣٢ه إلى سنة ٣٣٤ والعصر العباسي الثاني من سنة ٣٣٤ه إلى سنة ٦٥٦ه[٩]. وهذا التقسيم هوالذي اتّبعناه في تأليف هذا الكتاب وفقاً لما قرّره وزارة العلوم والأبحاث والتقانة في المنهج الدراسي للغة العربية وآدابها لمرحلة الإجازة. وبعض مؤرخي الأدب العربي اعتبر العصر العباسي الأول من سنة ١٣٢ه إلى سنة ٢٣٢ه والعباسي الثاني من سنة ٢٣٢ه إلى سنة ٣٣٤ه[١٠].

وبعضهم يفرّق بين التاريخ السياسي والتاريخ الأدبي، ويعتقد أنّ التاريخ السياسي لحكم العباسيين قد انتهى بانتهاء حكم المتوكل الذي جاء إلى عرش بغداد آخر سنة ٢٣٢ه، والقواد والأتراک يملكون الدولة في جميع جوانبها، ويجعل العصر العباسي من الناحية الأدبية مستمرّاً إلى السنة التي فتح فيها السلطان سليم الأوّل مصر سنة ٩٣٢ه ويقسم هذه الحقبة إلى فترات ستّة لا داعي لنا لإطالة الكلام فيها[١١].

وأمّا الثاني من الأمور الستة وهوبيان الباعث على تأليف هذا الكتاب والهدف منه، فواضح أنّه ألّف لغرض إعداد كتاب دراسي لنصوص النثر والشعر في العصر العباسي الأول وفق المنهج الدراسي في أقسام اللغة العربية وآدابها في جامعات بلادنا وعلى أساس حاجة الطلاب والطالبات إلى هذه المادّة الدراسية إتقاناً للغتهم وزيادة في ثقافتهم وبراعتهم في الكتابة والتعبير واطلاعهم على فنون النثر وأساليبه وفنون الشعر ومدارسه في هذا العصر بعد أن اقتَرَحَت عليّ مؤسسة «سمت» تأليف كتاب في هذا المجال، وكان حافزي هوسدّ الفراغ الذي رأيته في هذه المادّة الدراسية.

---

[٨]. *الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه*، ص ١٨٣.

[٩]. وهو مختار عبد المنعم الخفاجي فى كتابه *الأدب العربى وتاريخه فى العصرين الأموى والعباسى والأدب العربى فى العصر العباسى* تأليف ناظم رشيد.

[١٠]. *تاريخ الأدب العربى*، لضيف، ج ٣، ص ٤٣ و ج ٤، ص ١٦.

[١١]. *تاريخ الأدب العربى، (الأعصر العباسية)*، لفرّوخ، ص ٣٣-٣٤؛ *الشعر والشعراء*، ص ١٦-١٧.

وبعد مضيّ سنين طوال على تدريسها في الجامعات، رأيتُ بأنّ لكل أستاذ في تدريس نصوص العصر العبّاسي ملزمته التي أعدّها وطريقته التي اتّبعها فكانت الحاجة ماسّة والضرورة ملحّة تدعوان إلى تأليف كتاب في هذا الموضوع؛ تأليفا موافقا للمنهج الدراسي وصالحا للتدريس، يُثري الطّلاب من حيث اللغة والأسلوب والأدب من ناحية، ومن ناحية أخرى يزيد في اكتمالهم الخلقي باختيار نصوص من النثر والنظم لهذا العصر مضيئة ومشرقة تنير الأفكار وترشد إلى الخير والسعادة بإذن الله سبحانه وتعالى. علاوة على الاطّلاع على مختلف نصوص من النثر والشعر في هذا العصر والتعمّق فيها والاستفادة منها ومقارنة بعضها ببعض واستخراج دررها وغررها وتمييز غثها عن ثمينها وجيّدها عن رديئها.

أمّا الثالث منها وهو بيان الآسلوب الذي اخترته فهوالأسلوب الّذي اتّبعته في تأليف كتاب *مختارات من روائع الأدب العربي في العصر الإسلامي* من سلسلة منشورات مؤسسة «سمت»، فعلى ذلك الغرار، جعلتُ الكتاب في بابين: باب في النثر، وباب في الشعر؛ مقدّما النثر على الشعر، على العكس ممّاهومألوف ومعتاد بين المؤلّفين في النصوص الأدبيّة؛ لأنّ الهدف من قراءة النصوص لطلاب اللغة العربيّة كما قدّمنا هواكتساب وتحصيل المهارة في اللغة كتابة وتعبيرا وحوارا ومحاضرة ومناظرة؛ إلى آخرما هناك من الأغراض لتعليم وتعلّم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها؛ وبدهيّ أنّ فنون النثر والتدريب عليها واستخدام أساليبها في مختلف التعابير والإفادة من تعابيرها الهيكليّة وتطبيق مختلف التمارين اللغوية عليها تعين وتساعد الطلاب على هذا الهدف أكثرمن الشعر. وقد اخترت في كلا البابين (النثر والشعر)؛ في سرد النماذج المختارة وتطبيق المسائل اللغوّية والإعرابية والبلاغيّة عليها، أسلوباً واحداً كالتالي:

أتيت أوّلا بشرح وتوضيح المفردات العربية المحتاجة إلى الشرح والتفسير في فقر النثر وأبيات الشعر؛ ثم توضيح بعض الأبيات إن احتاج إلى الشرح والبيان.

ثانياً: أوردت أسئلة حول النَّص لاختبار مدى فهم النّص نثرا كان أم شعرا.

ثالثاً: ألقيت نظرة عامّة على النّص من وجوهه المختلفة معنىً وأسلوباً وبلاغةً تحت عنوان «دراسة وتحليل للنّصّ في كلا البابين».

رابعاً: أشرت إلى بعض المسائل الإعرابيّة والنحويّة في النّص ممّا يحتاج إلى عمق نظر وبعد تفكير تحت عنوان «في القواعد الإعرابيّة والنحويّة».

خامساً: كشفت النقاب عن بعض المسائل البلاغيّة والبديعيّة التي تزيد في جمال النّص وروعته؛ كلّ ذلك لكى أذكّر الطالب بما تعلّمه في علمي النحووالبلاغة، ولتكون النصوص عونا له فى تذكره النحو والبلاغة وممارسته عليهما.

هذا، وإنّ في الأسلوب الذي اخترته من التفنّن والتنويع ما يزيل تعب القارئ ويشجّعه إلى الاستمرار في قراءة النصوص نثراكان أم شعرا.

أمّا الرابع منها وهوسبب اختيار بعض الأدباء والشعراء لدراسة نصوصهم دون الآخرين، فهو يرجع إلى أنّ هؤلاء من أشهر الكتّاب والشعراء في العصر العباسي الأوّل؛ وقدوردت أسماؤهم في فهرس من يجب دراسة آثارهم في سجلّ المواد الدراسية لقسم اللغة العربيّة والمصادَق عليه من قبل وزارة العلوم والأبحاث والتقانة، علاوة على أن

المجال لا يتّسع لدراسة آثار جميع الكتّاب والشعراء لهذا العصر؛ ومع ذلك فإنّي لم أترك الإشارة إلى بعض آخرمنهم، أوردت أسماءهم ونماذج من آثارهم في خاتمة الكتاب.

وأمّا الخامس منها وهوالأسلوب الذي اقترحه لتدريس هذا الكتاب فهوكما يلي:

أمّا أسلوب تدريس نصوص النثر، فيجب أن يعلم أنّ النثر في هذا الكتاب قد قسّم على الرسائل والخطب والمناظرات، فيبدأ الاستاذ أوّلاً: بقراءة شطر من الرسالة أوالخطبة، ثانياً: يحيل قراءة بقيته إلى الطلّاب والطالبات آخذاً بعين الاعتبارجودة القراءة إعراباً وتجويداً وفصاحة، مسجّلاً لكلّ طالب علامة تليق به. ثالثاً: بعد انتهاء القراءة يلقي الأستاذ أسئلة على الطلاب لاختبار مدى تفهّم نصّ الرسالة، وقدر تفهمهم وتذوّقهم لمسائل النحووالبلاغة؛ وإذا استمر التدريس على هذا الأسلوب فسيحصل الطالب بعد نهاية الفصل على مقدرة وإحاطة على النص لا من حيث القراءة والترجمة فقط بل من جهة تقدّمه في الحوار ومقدرته على التكلم باللغة العربية والكتابة بها. رابعاً: يختبر الأستاذ مهارة الطلّاب والطالبات على فهم النص وقدرتهم على التكلم حول النصوص بعد استكمالهم نصوص الخطب والرسائل في تدريس المناظرات ففي إلقاء موضوع المناظرات يطلب الأستاذ من الطلاب والطالبات أن يختاروا موضوعاً ويكلّفهم أن يناقشوا الموضوع في الصف ويتباحثوا حوله كي تقوى قدرتهم على الحوار العلمي.

وأمّا السادس منها وهوبيان المنابع التي اعتمدتُ عليها في التأليف، فهي نوعان: المصادر: ويعنى بها المنابع الأصيلة والقديمة التي تكون منهلاً ومصدراً للمنابع الحديثة. والمراجع: وهي المنابع التي استقت من المنابع الأصلية واقتبست منها وأغلبها من المنابع الحديثة[١٢].

وفي الختام أرى لزاماً عليّ أن أقدّم خالص شكري وتقديري إلى من له مساهمة في إنجاز هذا الأثر وأخصّ بالذكر منهم رئيس مؤسسة «سمت» الأستاذ الدكتور أحمد أحمدي و معاونيه و مدير قسم اللغة العربية الأستاذ الدكتور محمدعلي آذرشب و المنضّد و المدقّق العلمي الأستاذ الدكتور خليل پرويني وغيرهم ممّن اهتمّوا بهذا الكتاب وأسأل الله سبحانه مزيد التوفيق والنجاح لهم في كافة أمورهم وشؤونهم.

والله المستعان لما أريد، وهوحسبي ونعم الوكيل

---

[١٢]. *مصادر المكتبة الأدبية*، ص ٨.